الحكومة الليبية
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للمعاهد الدينية

منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله

للسنة الثانية
بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية

إعداد لجنة المناهج

الطبعة الثانية
1444 – 1445 هجري
2022 – 2023 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وبعد:

فإنَّ الأمة الإسلامية اختلفت في مناحٍ شتى عقدية وغيرها وتفرقت بها السبل، فنزل بها من الويلات – نتيجة لهذا التفرق ولعدم الاحتكام في قضايا الخلاف إلى كتاب ربهم وسنّة نبيهم – ما لا يعلم مداه وفداحته إلا الله من تمزق صفوفهم وتأجج نيران الخلاف والخصومات فيما بينهم، ثُمَّ تَغَلُّبِ أعداءِ الإسلام على أوطانهم واستباحتهم لبيضتهم واستعبادهم واستذلالهم.

وحدثت تياراتٌ فكريّةٌ برزتْ في الساحة الإسلاميّة بطرقٍ ومناهجَ، لإصلاح حال الأمّة وإنقاذها.

منها: السياسي.

ومنها: الفكري.

ومنها: الروحي.

وكل واحد من هذه التيارات يدّعي ممثلوه أنّه المنهج الإسلاميُّ الحقّ الذي يجب اتّباعه والذي لا ينقذ الأمّة سواه.

وهذا الاختلاف في الأمة وبروز التيارات في الساحة الإسلامية مع أسباب أُخر، دفعتنا إلى القيام بواجب من أعظم الواجبات وأهمها بيان منهج الدعوة أو منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنّة، وبيان مزاياه التي لا يشارك فيها، وبيان ضرورة اتباعه وحده؛ لأنّه الطريق الأوحد الذي يوصل إلى الله، ويكسب رضاه، وهو السبيل الأوحد لإنقاذ الأمة والموصل إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

لذلك نضع بين أيدي الطلاب كتاب منهج الدعوة للسنة الثانية بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية، ليستنير الطالب بهذا المنهج الذي هو منهج للمسلم على مرّ حياته، ويتضح كذلك لكل طالب علم أن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليه، بل في أشد الضرورة إلى ذلك.

وعند انتهاء التلميذ من مقرره الدراسي الذي بين يديه سيقف على ثمرة هذا المنهج الرباني المتكامل في حياته؛ وهو ذخيرة له في مآله إلى ربه سبحانه ووعد الله على من سلكه في الدارين الجزاء الحسن فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧]

وبالله التوفيق

مفردات الوحدة الأولى

- لماذا خلقنا الله؟
- توحيد الألوهيَّة وأهميَّته.
- نماذج لدعوات بعض الرسل.
- الاهتمام بعقيدة التوحيد في العهد المدني.
- الحكمة من مشروعية الجهاد.
- تطهير الأرض من مقامات الشرك.
- إصلاح الجانب العقدي أصل الأصول.
- إسقاط الدول ليست الغاية الأولى.
- تربية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على طاعة الله.

لماذا خلقنا الله؟

إنّ الله تعالى الخالق البارئ المصور العليم الحكيم قد خلق هذا الكون العظيم ودبّره ونظّمه بعلمه المحيط وحكمته البالغة وقدرته الشاملة، لِحِكَمٍ جليلة وغايات نبيلة بعيدة كل البعد عن العبث والباطل واللَّعب.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان].

وخلق الجن والإنس وبيَّن الحكمة العظيمة والغاية الكريمة التي خلقهم من أجلها.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة]، أي: لا يؤمر ولا ينهى!

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

فأخبر تعالى أنَّه ما خلقهم إلَّا للابتلاء ليتبيَّن أيّهم أحسن عملاً بانقياده لمنهج الله واتباعه لرسل الله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

وبيّن لهم أنّه قد وفّر وهيّأ لهم كل الأسباب التي تساعدهم على القيام بمهمَّتهم العظيمة، وحذّرهم من الانـحراف عن هذه الغاية، والتنّكر لهذه النعم الجليلة.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم].

وقد منح الله سبحانه الإنسان نعمة العقل الذي يرفعه إلى مستوى التكاليف الإلهيّة ويؤهله لإدراكها وفهمها، وزوّده بالفطرة التي توائم ما يأتي به رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الوحي الكريم ومن الدين الحق قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم] وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ

جَدْعَاءَ»، ثمّ يقول أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١] الآية [الروم: ٣٠]

ثم لم يكلهم الله إلى ما آتاهم من فطرة وعقل، بل أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب لتبين لهم الحق من الباطل ولتكون مرجعاً لهم، فيما يختلفون فيه، حتى لا يبقى للناس أَيُّ عذرٍ، ولتقوم عليهم الحجة، فلا يبقى لهم حجة على الله بعد الرسل.

هذه رسالة كل الأنبياء تدل على كل خير وتحذّر من كل شر لكن من أين تنطلق؟ وبماذا تبدأ؟ وعلى أي شيء تركّز؟ إنّ هناك دعائمَ وقواعدَ وأصولاً تركّز عليها دعواتهم، وتكون أوّل منطلقاتهم في دعوة الناس إلى الله.

تلك الأسس والقواعد هي:

١- التوحيد. ٢- النبوات. ٣- المعاد.

وقد عُنيتْ بها كتبُ الله بأجمعها واتّفقت عليها الشرائع السماويّة بأسرها..وألفَّ فيها العلماء التآليفَ العظيمة ككتاب: «إرشاد الفحول إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات» للعلامة الشوكاني؛ ساق فيه الأدلة على هذه الأسس من القرآن والإنجيل والتوراة.

وأهمّ هذه الأسس الثلاثة وأجلّها وأصل أصولها هو توحيد الله تبارك وتعالى الذي تضمّنته غالب سور القرآن، بأنواعه الثلاثة المشهورة فإنّ القرآن:

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٥)

١ – إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو: التوحيد العلمي الخبري.

٢ – وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.توحيد الإلهية

٣ – وإمّا أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

٤ – وإمّا خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء التوحيد.

٥ – وإمّا خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كلّه في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

الأسئلة

س١ : ما الدليل على أن الله خلقنا لعبادته؟

س٢ : ما المقصود من قوله تعالى: «ليبلوكم أيكم أحسن عملا»؟

س٣: ما المقصود بالفطرة المذكورة في قوله تعالى: «فطرة الله»؟ وفي قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«ما من مولود إلا يولد على الفطرة»؟

س٤ : هل الفطرة وحدها تكفي لانقطاع العذر أمام الله؟

توحيد الألوهيّة وأهميّته

كان الجانب الأهم من دعوات الرسل قاطبة هو دعوة الناس إلى توحيد الألوهية..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى بعد أن ذكر قصص عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

تلك هي دعوة الأنبياء جميعاً الدعوة إلى التوحيد و هذا هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى الله.

نماذج لدعوات بعض الرسل

قد أخبر الله تعالى عن بعض أفراد الأنبياء العظام كيف واجهوا أقوامهم وإذا بهم يسيرون طبق المنهج الذي قرره الله لجميعهم لا تند عنه دعوة أحد منهم.

وسوف نكتفي بعرض دعوات خمسة من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم مما يجلي لنا الدعوة الحق مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك:

فأولهم: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أبو البشر الثاني، وأول رسول إلى أهل الأرض عاش هذا النبي العظيم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لبثها في دعوة قومه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا يكلّ ولا يملّ، ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ
﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا
﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ
لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩
لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ
وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ
وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
ضَلَٰلٗا ٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح].

فها هنا قصَّ الله علينا خلاصةَ دعوة هذا النبي الكريم التي استغرقت ألف سنة إلاّ خمسين عاماً؟!

إنها دعوةٌ جادةٌ إلى توحيد الله وعبادته وحده، في جهد دائب سراً وجهاراً وترغيباً وترهيباً ووعداً ووعيداً، واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة العقلية والحسية، وكل ذلك لم يجد فيهم نفعاً ولا دفعهم إلى استجابة، بل أصروا على التشبث بمعبوداتهم الباطلة، فكانت النتيجة الهلاك والدمار في الدنيا، وفي الآخرة الخلود في عذاب النار.

وهنا نتساءل لماذا يستمر هذا النبي العظيم كل هذه الآماد الطويلة، ويبذل هذه الجهود الكبيرة، دون كلل أو ملل يدعو إلى مبدأ التوحيد؟!!

ولماذا يمدحه الله ويثني عليه الثناء العاطر، ويخلد ذكره ويجعله في عداد الرسل أولي العزم؟

لماذا يقره الله على سلوك هذا المنهج في الدعوة طوال ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ؟

هل دعوة التوحيد تستحق كل هذه العناية والإكبار؟ ويكلف أعظم الرسل وأعقل البشر أن يجعل منه أسوة في دعوته وصبره؟

هل هذا المنهج وتحديد هذا المنطلق لهذا النبي الكريم مجانب للحكمة والعقل؟! أو أنه عين الحكمة ومقتضى العقل الواعي الرجيح؟

الجواب المنصف القائم على العقل والحكمة: أن دعوة التوحيد ومحاولة القضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه تستحق كل هذا، وأنَّه عين الحكمة ومقتضى الفطرة والعقل، وأن الواجب على كل الدعاة إلى الله أن يُكَرِّسُوا كُلَّ جهودهم وطاقتهم لتحقيقه ونشره في أرض الله كلها، وأن يتعاونوا ويتكاتفوا ويتّحدوا، ويُصدِّقُ بعضهم بعضاً، كما كان الرسلُ دعاةَ التوحيد ويبشر سابقهم بلاحقهم ويصدق لاحقهم سابقه ويُؤيد دعوتَه ويَسير في مضماره.

يجب أن نعتقد أنه لو كان هناك منهج أفضل وأقوم من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به.

فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجاً سواه ويتطاول على هذا المنهج الربانيِّ وعلى دعاته؟!!!

وثانيهم: أبو الأنبياء وإمام الموحدين الحنفاء إبراهيم خليل الله، الذي أمر الله سيد المرسلين، وخاتم النبيين وأمته باتباعه و الائتساء بدعوته والاهتداء بهديه ومنهجه

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]

دعوة حارة قوية متدفقة إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له ونبذ الشرك ورفضه، تبدأ بالأسرة وتمتد إلى الأمة تحارب الشرك والأصنام، وتزلزل الشرك بالكواكب.

ويسلك خليلُ الله أقوم الطرق في المناظرة والمحاجّة، لإقامة حجة الله ودحض الشرك وباطله وشبهه.

فالتعبير بالأصنام تحقير لآلهتهم المزعومة المصطنعة، وتسفيه لأحلامهم ورصده للكواكب المذكورة واحداً واحداً تلو الآخر، وهي تغيب وتأفل عنهم ليأخذ من حالها البرهان الواضح على بطلان ما يزعمون من ألوهيتها.

فمن يرعاهم ويدبر شؤونهم وشؤون هذا الكون حين غيابها ؟!، وإذن فعليهم أن يرفضوا هذه الآلهة المزعومة الباطلة ويكفروا بها، ويتجهوا إلى إلههم الحق، الذي فطر السموات والأرض، والذي لا يغيب ولا يحول ويعلم جميع أحوالهم، ومطلع على حركاتهم وسكناتهم ويرعاهم ويحفظهم ويدبر شؤونهم.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ
يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي
مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ
ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ
لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ
بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ
بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ
عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].

دعوة حارّة إلى التوحيد، قائمة على العلم والمنطق والعقل وعلى الخلق القويم، وتَهدي الضالَّ إلى الصراط المستقيم، يقابلها تعصبٌ أَعمى، يقومُ على الهوى والجهل والعناد والمكابرة، وإلاّ فكيف يعبد ويخضع لمن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً؟

إن علم التوحيد – أيها الطالب – هو العلم الذي يعتز، به جميع الأنبياء

وبه يصولون على الباطل والجهل والشرك.

فالجهل بهذا العلم – علم الأنبياء الهادي إلى الحق والمنقذ من الضلال والشرك – هو الجهل المميتْ، والسمُّ القاتلُ الذي يقتل العقل والفكر.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم]

وبعد هذه الجولات القوية الواعية التي يقوم بها إبراهيم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في ميدان الدعوة إلى الله دعوة الأسرة والأمة التي أقام فيها على أبيه وقومه الحجج الدامغة واجه بهذه الدعوة العظيمة ذلك الحاكم الجبار الطاغية المتأله بكل قوة وشجاعة.

قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة] لقد دعا إبراهيم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هذا الطاغيةَ المتأله إلى توحيد الله والإيمان بربوبيته وألوهيته، فطغى واستكبر عن الإجابة إلى توحيد الله، وأبى التنازل عن دعوى الربوبية.

فحاجّه إبراهيم وناظره هذه المناظرة النيّرة البراهين الواضحة المعالم قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة.

فقال المتجبر: أنا أحيي وأميت، أي أقتل من أردت قتله وأستبقي من أردت إبقاءه.

وهذا الجواب فيه تمويه وتضليل للأغبياء، وَحَيْدَةٌ عن الجواب؛ لأنَّ قصدَ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَنَّ ربَّه ينشئ الحياة في الإنسان والحيوان والنبات من العدم، ويردها إلى الأموات بقدرته وأنَّه هو الذي يميت الناس والحيوانات بآجالها، بأسباب ربطها وبغير أسباب، فلما رآه إبراهيم يموه ويدجل تدجيلاً ربما انطلى على الهمج، قال – ملزماً له بتصديق قوله، إن كان كما يزعم –: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ أي: وقف متحيراً مشدوهاً، منقطع الحجة قد ألقم حجراً وأخرس لسانه وزهق باطله، ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء]

وفي هذا درس لمن ألقى السمع وهو شهيد، إنها دعوة إلى التوحيد، تمثل قمة الإخلاص والحكمة والعقل، وتأتي البيوتَ من أبوابها وتنطلق من حيث أراد الله، لا مصارعة على الملك، ولا منافسة على الحكم.

ولو كان هدف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الوصولَ إلى الحكم لسلك منهجاً غير هذا المنهج، ولوجد مَنْ يلتف حوله ويصفق له.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ

مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا
عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا
لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ
لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ
فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ
فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا
هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا
وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

آتى الله إبراهيم رشده على علم بأنه أهل لذلك.

فهذا النبيُّ الحكيم الرشيدُ واجه فَساداً في العقيدة، وفساداً في الحكم، أمة انحط تفكيرها وضلَّتْ عقولها، فعبدت الأصنام من الأخشاب والأحجار والكواكب، وتحكمها حكومة فاسدة يقودها جبّار متأله فأسلسوا له القياد.

فمن أين يبدأ بالإصلاح يا ترى؟

أيبدأ بمصاولة الحاكم لأنه قطعاً يحكم بغير شريعة الله ويحكم بقوانين وتشريعات جاهلية، بل ويدّعي الربوبية جهاراً وحقَ التشريع، أو يبدأ بإصلاح العقيدة عقيدة الأمة وعقيدة الحكومة الجاهلية؟ القرآن يحدثنا عن هذا النبي الرشيد إمام الأنبياء، أنه بدأ بإصلاح العقيدة أي الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، ومحاربة الشرك والقضاء عليه، وعلى أسبابه واقتلاعه من جذوره، وقد جادلهم في هذا المجال وجادلوه، فدمغهم بالحجج القاهرة والبراهين الظاهرة، حتى ألجأهم إلى الاعتراف بالظلم والضلال والتعصب الأعمى والجمود القاتل على تقليد الآباء: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

فلما رأى إبراهيمُ أهواءَ جامحة وعقولاً متحجرة، دبر لهم خطةً حكيمةً شجاعة لتحطيم آلهتهم، مما أثار الحكومة والشعب ضده، واستدعوه للمحاكمة العلنية، ووجهوا إليه الاتهام ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ فأجابهم بأسلوب تهكميٍّ ساخر: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

فكان هذا الجواب المفحم كالصاعقة العنيفة هوت على رؤوسهم المخبولة، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

ثم لما أعوزهم سلاح الحجة لجأوا إلى القوة، سلاح كل عاجز عن الحجة

في كل زمان ومكان ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾.

ونجى الله خليله إبراهيم ورد الله كيد الكافرين الخاسرين في نحورهم: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾.

وكان في نجاة إبراهيم من تلك النار العظيمة بعد أن حولها الله برداً وسلاماً على إبراهيم، آيةٌ عظيمةٌ من أعظم آيات الله على نبوته وصدقه وصدق ما جاء به من التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك والضلال.

وكافأ الله إبراهيمَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على هذه الدعوة الحكيمة وعلى هذا الجهاد والتضحية الرائعة: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾ [الأنبياء]

ثالثهم: يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم الذي أنزل الله في شأنه سورةً طويلةً تقص لنا حياته الكريمة ومراحلها من طفولته إلى موته، وكيف تقلبت به الأحوال، وما واجه من صعاب، فتلقاها بقوة النبوة وصبرها وحكمتها وحلمها.

عاش هذا النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القصور، وعرف مفاسد الحكم والحكام عن كثب، وذاق مِنْ ويلاتهم كيداً وظلماً واضطهاداً وسجناً وعاش بين ظهراني أمة وثنية تعبد الأصنام والأبقار والكواكب فمن أين ينطلق للإصلاح ومن أين تكون نقطة البداية؟!

هل يبدأ في الدعوة إلى الله وهو مسجون ظلماً يشاركه في السجن مظلومون مثله من إثارتهم وتهييجهم على الحكام الظلمة المستبدين؟! وهذا منطلقٌ سياسيٌّ لا شك فيه، والفرصة متاحة أمامه أو يبدأ بالدعوة من حيث انطلق آباؤه الكرام وعلى رأسهم إبراهيم خليل الله وإمام الدعاة إلى توحيد الله ومن حيث انطلق جميع رسل الله؟! لا شك أن طريق الإصلاح الوحيد في كل زمان ومكان هو طريق الدعوة إلى العقيدة والتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف]

وبعد هذا البيان الواضح والدعوة الصارخة إلى التوحيد ونبذ الشرك يؤكد دعوته وحجته بقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم يفسر هذه الحاكمية بتوحيد الله وعبادته وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾.

ويصل يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى أعلى منصب في هذه الدولة وهو يدعو إلى توحيد الله ويقيم على دعوته ونبوّته البينات قال تعالى في بيان هذه الأمور: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف] **وقال شاكراً لمولاه:**

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف] من فقه سيرة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنَّ الدعوة إلى التوحيد أمر لا بد منه، وأنَّ الشركَ لا هوادةَ ولا مداهنةَ في محاربته، فلا يجوز السكوت عنه مهما كانت ظروف الداعية إلى الله، بل لا يجوز لمسلم إطلاقاً أن يُحابيَ ويداهنَ في أمره.

فلا يجوزُ أَنْ يكونَ المسلمُ خصوصاً الداعية [أن يتولى منصباً يخل بالعقيدة أو يتنافى معها] وإنْ قامتْ دولةُ الإسلام فلا بد من تطبيق شريعة الله، وإلاّ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة] والكفر حينئذ على ما فَصَّله علماء الإسلام من الصحابة وغيرهم قد يكون كفراً أكبر إذا كان يحتقر شرع الله ويستحل الحكم بغيره وقد يكون كفراً أصغر إذا كان يعظم شريعة الله

ولا يستحل الحكم بغيرها لكن غلبه هواه فَحَكَم بغير ما أنزل الله كما فعل نبي الله يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تبوّأ منصبَ النيابة عن ملك كافر وما كان يحكم بشريعته ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦] وكان يقوم بالعدل بين الرعية ويدعوهم إلى توحيد الله.

وفي هذا ردٌّ حاسمٌ على مَنْ يُهوّنُ من أمر عقيدة التوحيد، ويجامل في قضية الشرك، وينظر إلى دعاة التوحيد بعين الاحتقار والازدراء، ويربأ بنفسه ويشمخ بأنفه؛ أَن يهبط إلى مستوى دعاة التوحيد – وهو من دعاة السياسة.

وهل يفلح قومٌ هذا موقفهم من دعوة الأنبياء إلاّ أن يتوبوا عمّا هم فيه إلى الله توبة نصوحاً.

رابعهم: موسى كليم الله، القوي الأمين، نرى دعوته تتجه إلى التوحيد وتحمل في طيّاتها أنوار الهداية والحكمة.

لقد تربى موسى ودرج في قصور أعظم طاغية متأله، وشاهدَ من ألوان الفساد والكفر والطغيان والظلم والاستبداد، في قصور الحكم ما يصعب تصوره واحتماله، ورأى ما نزل بقومه بني إسرائيل من استعباد واستذلال ما فاق كل ظلم عرفته البشرية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص] وكان قوم فرعون أهل شرك ووثنية.

فكيف كان بدء دعوة موسى هل اتجهت إلى إصلاح عقيدة هذه الأمة الوثنية أو بدأت بالمطالبة بحقوق بني إسرائيل والمصارعة على الحكم والسعي الجاد في إقامة الدولة الإسلامية وانتزاع السلطة من أيدي الطغاة وعلى رأسهم فرعون المتأله؟

الجواب: لقد كانت دعوة موسى كغيرها من دعوات آبائه وإخوانه من الأنبياء، لقد لقّنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته.

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ [طه]

هكذا في مفتتح رسالته تملى عليه عقيدة التوحيد.

ثم يكلف بالدعوة لهذا المبدأ العظيم فيرسله إلى فرعون، ويبيّن له طريق الدعوة وأسلوبها الحكيم الذي يواجه به فرعون قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات]

ويشد عضده بأخيه هارون مبالغة في إقامة الحجة ويعلمهما الرفق واللّين في الدعوة فإن ذلك أقرب الطرق إلى هداية من يريد الله هدايته ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

فنفّذا أمر ربهما...، فلم يستجب لهذه الدعوة الهادئة الحكيمة فَبَرهن موسى على نبوّته وصدق رسالته بآيات كبرى لكن الطاغية فرعون زاد طغياناً وتكذيباً ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف] فماذا كان موقف موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من هذه الانتهاكات البشعة والتي تجاوزت حدود الوحشيَّة والهمجيَّة؟!

إنَّه الثّبات على العقيدة والصبر الجميل والاستعانة بالله في مواجهة هذه الشدائد ثمَّ انتظار العاقبة الطيّبة ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]

ولّما لم يبق أيّ أمل في إيمان فرعون وقومه واشتدّ البلاء على بني إسرائيل، كان مطلب موسى الوحيد من فرعون أن يترك لبني إسرائيل حريّة الخروج والهجرة إلى حيث يريد الله لهم إنقاذاً لهم من التعذيب والتَّنكيل ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه]

إنَّها لدعوة سامية إلى توحيد الله، فيها النور والحكمة وفيها الحرص على هداية المدعوّين وتزكيتهم، وفيها أقوى أنواع الصبر في تحمّل الأذى، وفي

مواجهة الطغيان والكبرياء، وفيها معالجة المواقف الصعبة بالحكمة والصبر مع قوّة الأمل في الله في نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين.

والخامس: سيد الأنبياء وخاتمهم محمد بن عبد الله صاحب أعظم رسالة وأكملها وأشملها، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ما ترك خيراً إلا دلَّ أمَّته عليه، ولا شراً إلا حذَّرها منه.

بماذا بدأ هذا النبيُّ العظيم دعوته؟

إنَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدأ بما بدأ به كلّ الأنبياء بدأ بعقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، لقد بدأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الأصل فأوَّل شيء طرق مسامع قومه (قولوا لا إله إلا الله).

فقال المستكبرون منهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص].

واستمرَّ داعياً إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً لا يكلُّ ولا يملُّ، صابراً على كلّ ألوان الأذى في سبيل نشره.

أمره أن يقوم بدعوة النّاس جميعاً إلى تحقيق هذا المبدأ والنّهوض به.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]

وقال تعالى﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والآيات في هذا كثيرة، والذي قدّمناه إنما هو مثال لمنهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة إلى التوحيد.

أمّا السنّة ففيها الشيء الكثير الدّالّ على افتتاح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته بالتّوحيد، واختتامها بذلك واستمراره فيما بين ذلك طوال حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ - فعن عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ ...)[1] الحديث.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٨٣٢).

٢ - وكان مما قاله جعفر بن أبي طالب للنجاشي حينما سـأله عن هذا الدين الذي فارقوا به قومهم: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ "، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإسلام... »[١] الحديث.

٣ - وفي أسئلة هرقل لأبي سفيان في مدّة صلح الحديبية عن حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي سفيان: ما يأمركم؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ»[٢]

فهذه الأحاديث توضح لنا دعوة رسول الله في العهد المكي والمدني.

---

(١) مسند أحمد برقم (١٧٤٠)

(٢) صحيح البخاري برقم (٧)

ولقد عذب أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد ألوان العذاب من أجل تمسكهم بالعقيدة وإخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والكفر.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب.

وأما أبو بكر، فمنعه الله بقومه.

وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وَأتَاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: (أحد أحد) [١].

وتعذب سمية حتى الموت من أجل عقيدة التوحيد، لا لأنها كانت زعيمة سياسية.

فعن مجاهد قال: (أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار أما أبو جهل فطعنها بحربة في قُبُلها) [٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٨)، وصححه.

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦٤٢٦٥)، بإسناد صحيح إلى مجاهد.

الأسئلة

س١ : لماذا أرسل الله الرسل؟

س٢ : ما الأصل الذي انطلقت منه دعوة الأنبياء؟

س٣: هل صحيح أن الدعوة تبدأ بمصادمة الحكام؟

س٤ : على ضوء دراستك لسير الأنبياء السابقة، ماالذي حذروا منه أقوامهم؟ وما دليلك؟

س٥ : لماذا عُذِب أصحاب الرسل و أتباعهم؟

الاهتمام بعقيدة التوحيد في العهد المدني

وبعد أن هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى المدينة، وقامت دولة الإسلام على كواهل المهاجرين والأنصار، وعلى أساس التوحيد ظل الاهتمام بالتوحيد على أشده والآيات القرآنية تنزل به، والتوجيهات النبوية تدور حوله.

ولـم يكتف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل هذا، فكان يبايع عليها عظماء الصحابة فضلاً عن غيرهم بين الفينة والفينة،فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس، فقال: «تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ الله فَأَمْرُهُ إِلَى الله، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» (١).

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٨).

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»(١).

وكذلك بايع النساء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الممتحنة]

وكان يرسل دعاته ومعلميه وقضاته وأمراءه إلى الملوك والجبابرة والأقطار المختلفة بدعوة التوحيد.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله تَعَالَى»، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)

(١) صحيح مسلم برقم (١٠٤٣)

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٧٤).

يوضح ذلك نص كتابه إلى قيصر وأنّ هدفه الدعوة إلى التوحيد ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين(١) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: ٦٤].(٢)

وبعث معاذاً إلى اليمن أميراً وقاضياً ومعلماً، فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصيته: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» (٣)

ولا يشك أنه كان يوصي كل دعاته وأمرائه وقضاته بمثل هذه الوصية.

---

(١) الأريسيون: الفلاحون ويقال لهم: الأكّارون، والمراد: أتباعه من الضعفاء.

(٢) وانظر كتابه إلى كسرى ملك الفرس في (البداية والنهاية) (٤/ ٣٦٩)، بقريب من كتاب قيصر.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٧).

الأسئلة

س١ : ما الأصل الذي أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبايعه الناس عليه؟

س٢ : بماذا أوصى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذا عندما بعثه إلى اليمن؟

س٣: على ماذا بايع الصحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

الحكمة من مشروعية الجهاد

شرع الله الجهاد من أجل التوحيد وتطهير الأرض من فتنة الشرك قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة]

قال ابن جرير رحمه الله في (تفسيره) [(١)]:

(يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة، يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان... قال قتادة: حتى لا يكون شرك) وساق أسانيده بهذا التفسير إلى قتادة ومجاهد والسدي وابن عباس.

وقال: (المراد بالدين الذي ذكره الله في هذا الموضع: العبادة والطاعة لله في أمره ونهيه.

ثم ساق إسناده إلى الربيع: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ يقول: حتى لا يعبد إلا الله، وذلك لا إله إلا الله، عليه قاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإليه دعا).

---

(١) (٢/ ١٩٤١٩٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله)[١]

وقال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بكر الصديق خليفة رسول الله حين عزم على قتال المرتدين بما فيهم مانعي الزكاة فقال له الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»[٢].

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ»[٣]

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

(١) صحيح البخاري برقم (١٣٩٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٤)

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية](١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(٢)

ويلاحظ أن أحاديث عمر وأبي بكر وأبي هريرة وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد اقتصرت على قضية التوحيد، ولم تتعرض لغيرها.

ولعلّ السبب في ذلك شدة اهتمام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه القضية إنَّه يحدثهم بها المرة تلو المرة مقتصراً عليها، تنبيهاً منه لهم على عظمتها وأهميتها وإدراكاً منه صلوات الله وسلامه عليه، أنهم يفهمون أنّ كُلَّ أمور الإسلام من مقتضياتها ومستلزماتها وحقوقها خصوصاً أركان الإسلام والإيمان.

وكان أبرز جانب وأهمه فيما جاء به الأنبياء من تعاليم ربانية هو توحيد الإلهية، وكان هو في الواقع أعظم قضايا الصراع مع كل أعداء الأنبياء.

وكان أبرز جانب من جوانب الباطل والضلال مما أعلن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عليه الحربَ من جهةٍ، واسْتَماتَ المشركون المكذبون من كل

---

(١) صحيح مسلم برقم(٢١).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢).

الأمم في الدفاع عنه من جهة أخرى، هو عبادة الأصنام والأوثان، وقبور الصالحين والأنبياء وتقديسها وتقديم القرابين لها وتعلق قلوب البشر حُكَّاماً ومحكومين بها حباً ورجاءً وخوفاً وطمعاً وأملاً في شفاعتها لهم عند الله في قضاء مطالبهم.

وكان هذا اللون هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر كان لابد من ذكر طرف من حرب رسول الله صلى الله عيه وسلم الشعواء لهذا الشرك الأكبر ممثلة في سحق هذه الأوثان فعلاً، وفي سَدِّ كُلِّ ذريعة يستدرج بها الشيطان أولياءه من البشر إلى عبادتها واتخاذها أنداداً من دون الله باسم الآلهة أو الأولياء أو تحت أيِّ شعار مُضلٍّ.

فمن تلك الحرب التي شَنَّها القرآن ورسول مُنَزِّل القرآن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم] فهذا تحقير لمعبوداتهم وأي تحقير، وحرب عليها وأي حرب، وقول الله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج] وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

وقد تقدمت أحاديث عمرو بن عبسة و جعفر بن أبي طالب وأبي سفيان، وفيها الدعوة إلى خلع عبادة الأنداد من الأوثان وغيرها.

ولقد طاشت ألباب زعماء قريش وضاقت ذرعاً بهجوم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أوثانها سواء فيما أنزل عليه من قرآن أو في دعوته السرية والعلنية لأن هذا أمر لا هوادة فيه، ودعوته الصادقة تقتضيه.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، ابْنُ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلِهَتَنَا، يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ قُرْبَ أَبِي طَالِبٍ مَوْضِعُ رَجُلٍ، فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمِّهِ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ، فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا إِلَّا عِنْدَ الْبَابِ فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: " يَا عَمِّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ " قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ نَعَمْ وَأَبِيكَ، عَشْرًا، قَالَ: " لَا

إِلَهَ إِلَّا اللهُ" قَالَ: فَقَامُوا وَهُمْ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾ [ص] [1].

تلك الحرب كانت حرباً كلامية ونفسية بالنقد اللاذع والتحقير والسخرية ودمغ المشركين بالضلال والجهل مع إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا مَنْ حَي عن بينة.

وكان من آثار تلك الحرب ومن آثار تلك الدعوة والبيان، أَنْ هَدى الله كثيراً وفتح الله بصائرهم، وعرفوا حقيقة التوحيد ومكانته، وعرفوا حقارة الشرك بالأوثان وغيرها.

---

(١)مسند الإمام أحمد (٣٤١٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

الأسئلة

س١ : لماذا شرع الله الجهاد؟

س٢ : ما سبب اهتمام الأنبياء عليهم السلام بقضية التوحيد؟

س٣: ما أبرز أركان التوحيد؟

س٤ : ما نوع الشرك الذي استمات عليه المشركون؟

تطهير الأرض من مقامات الشرك

لما أصبح للمسلمين شوكة ودولة انتقل رسول التوحيد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى خطوة عملية جديدة؛ هي سحق الأصنام وتحطيمها وإبادتها وتطهير الأرض منها إدراكاً منه لخطورتها فهي المصدر الأساسيُّ والخطير على الأجيال البشرية من فجر تاريخها وإلى أن ينتهي تاريخها كما قال إمام الحنفاء: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم].

فمن هنا قرر الرسول الأعظم محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ القيام بتطهير الأرض من الأوثان وتسوية القبور؛ لأنها قرينة الأصنام في إضلال البشرية.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ، وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: «جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ» (١).

وجَهَّز رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جيشاً لذي الخلصة من المدينة إلى خثعم فغزاها، فعن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٢٠).

«كَانَ بَيْتٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ذُو الخَلَصَةِ، وَالكَعْبَةُ اليَمانِيَةُ، وَالكَعْبَةُ الشَّأْمِيَّةُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ»، فَنَفَرْتُ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَاكِبًا فَكَسَرْنَاهُ، وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا لَنَا وَلِأَحْمَسَ"(١).

وفي لفظٍ للبُخاريِّ: (وَكَانَ ذُو الخَلَصَةِ بَيْتًا بِاليَمَنِ لِخَثْعَمَ، وَبَجِيلَةَ، فِيهِ نُصُبٌ تُعْبَدُ، يُقَالُ لَهُ الكَعْبَةُ)(٢).

ولفظه في البُخاريِّ ومسلم وأحمد: (أَلَا تُريحني مِن ذي الخَلَصة؟)

انظر إلى هذا التعبير النبويِّ فكان وجود الأوثان يَقضُّ مضجَعه ويقلقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلا يقر له قرار ولا يجد راحة.

وأَعْجَبُ من واقعِ كثيرٍ من الدعاة اليومَ يرونَ أَمام أعينهم مظاهر الشرك فلا تُحرّكُ فيهم ساكناً، ولا يحسبون لهذا الواقع المرّ حساباً، بل الأدهى والأمر أنهم يَتَذَمّرونَ ممن ينكر ويتألم لهذا الواقع الجاهليِّ السيئ.

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: «لَمَّا فَتْحَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا»، فَرَجَعَ خَالِدٌ، فَلَمَّا بَصُرَتْ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥٧).

بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتُهَا، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا عُزَّى يَا عُزَّى، فَأَتَاهَا خَالِدٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ الْعُزَّى»[1].

وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب، فبعث رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان ليهدمها، وقيل: علي بن أبي طالب [2].

وسألتْ ثقيفٌ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يدع الطاغية وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى.

وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يَسْلَمُوا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرياتهم... فأبى رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بنَ شعبةَ يهدمانها [3].

وروى البخاريُّ: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: (اللات والعزى) كان اللات رجلاً يلتُّ سويقَ الحاج [4].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (١١٦٥٩) وهو إسناد حسن.

(٢) السيرة لابن هشام (١/ ٨٥٨٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٢/ ٥٤٠٥٤١). وابن جرير (٣/ ١٤٠)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٢) ط. مكتبة المعارف، وعيون الأثر لابن سيد النَّاس (٢/ ٢٢٨)، وزاد المعاد (٣/ ٤٩٩٥٠٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٩).

ولما كانت فتنةُ القبورِ والأوثانِ من باب واحد، والرباط بينهما وثيق جدّاً حيث إنّ الأوثانَ والأنصابَ إنما نحتت وصورت وعبدت حُباً وغلواً في الصالحين كما فعل قوم نوح بودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرٍ لأنهم رجال صالحون.

كذلك إنما شُيّدتِ القبورُ وشُدّت إليها الرّحالُ وقُدّمت لها القرابين حباً وغلواً في رجال صالحين وفي أقوامٍ اللهُ أعلم بأَحوالهم وبمآلهم.

وعلى كلّ حال فلما كان النَّوعانِ من بابٍ واحد لم يدّخر رسولُ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وسعاً في الأمر بهدم القبور والنهي أن يُبنى عليها أو يُزادَ عليها ونهى عن تجصيصها ونهى عن الصلاة عليها وإليها وحذّرَ التحذيرَ الشديدَ من شرّها ولعنَ مَن يَتخذونَ المساجدَ عليها.

عن أبي الهيّاج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالبٍ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ؟ «أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[(١)].

ألا ترى أنَّ رسول الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يبعث علياً لتسوية القبور كما يبعثه لطمس التماثيل ولا تستبعد أنَّ رسولَ الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يجنّد رجالاً هنا وهناك؛ للقيام بهدم الأصنام والقبور كما مرّ بنا سابقاً.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٦٩).

وعن ثُمامةَ بنِ شُفَيٍّ قال: كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ» (٢).

وعن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا» (٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللهمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٤).

وتستمر هذه العناية النبوية الواعية، لأخطار الأوثان والقبور إلى آخر لحظة من لحظات حياة الرسول الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه فعن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى الله أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ الله تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٦٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم(٩٧٠)

(٣) أخرجه مسلم برقم(٩٧٢)

(٤) أخرجه مالك في الموطأ برقم(٥٩٣)

لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

وعند احتضاره وبعد اختياره للرفيق الأعلى كان شغله الشاغل خطر فتنة القبور على هذه الأمة التي جهل أكثرها قدرَ هذه الاهتمامات النبوية وجهلت خطر هذه الفتنة الماحقة.

فعن عائشة أم المؤمنين وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ الله عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا(٢).

وعن أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْ أَخْرِجُوا يَهُودَ الْحِجَازِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ "(٣).

سرِّح طرفك في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها ترى العجب العجاب، ترى واقعاً يتحدى هذه النصوص النبويَّة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٥٣٢)

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٠) ومسلم، برقم(١٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩٥) برقم ١٦٩٤

وإذا قرأتَ عليهم هذه النصوصَ، وبينت لهم مصادرها وتمسّك الصحابة وأعيان الأمَّة بها، واجهوك بتأويلاتٍ أسخف من تأويل من قالوا: (إنما البيع مثل الربا)، واتهموك بعداء الأولياء.

والآن نتساءل إذا كانت دعواتُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحمل في طياتها كل خير، وتحذر من كلّ شرّ، فما بالنا نرى فيما قص الله علينا في كتابه وفي دراستنا لسنَّة وسيرة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن دعواتهم إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه ووسائله قد أَخذتْ مساحةً كبيرةً جداً من دعواتهم واستغرقت زمناً طويلاً من حياتهم حتى لكأنما كان هذا الجانب هو شغلهم الشاغل.

فأين مواقفهم من الحكام الطغاة المستبدين؟

والجواب: أن ما أنتجه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو عين الحكمة والصواب، ومقتضى العقل السليم.

فليس في مشاكل البشر سياسيها واقتصاديها واجتماعيها من الخطر ما يساوي مشكلة الشرك ومضاره ولا يقاربها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]

فالعقلُ والحكمةُ والفطرةُ تقتضي إذاً أن يبدأَ بمحاربة خطر الشرك، وأن تستمر دعوات الأنبياء وأتباعهم على محاربته، ما بقيتْ له بقية، أو بقيَ له شكلٌ أو مظهر.

فإذا أحاطتْ بأمةٍ مشاكلُ عقائديةٌ شركٌ يدمر عقيدَتها، ومشاكلُ اقتصاديةٌ ومشاكلُ سياسية، فبأيّها تَبدأُ المعالجةُ الحكيمةُ؟

أما الأنبياء فلم يبدأوا إلا بمعالجة مشكلة العقيدة بكل قوة، والبدء بمعالجة الأمر الأخطر أمر يتفق عليه كل عقلاء البشر.

ولو أن مسافرين انتهى بهم السير إلى طريقين لا خيار لهم من سلوك أحدهما:

الأول: فيه براكين تقذف بلهبها ونيرانها تلتهم أشجارها وأحجارها.

والثاني: فيه الأشواك والرمضاء وأشعة الشمس اللاهبة لما اختار عقلاؤهم إلا سلوكَ الطريق الثاني.

لنأخذ الآن أشد المفاسد أعني المفاسد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأشدها فساد الحكم لنوازنها بفساد العقيدة، فهل هما في ميزان الله وميزان الأنبياء سواء، أو أن أحدهما أشد خطراً وأدهى وأمرّ عاقبة؟!!

ففي ميزان الله وميزان أنبيائه أن أشدها خطراً وأجدر بالتركيز عليه على مرّ الدهور والعصور وفي كل الرسالات، إنما هو الشرك ومظاهره الذي لا يضاهيه فساد مهما عَظُم شأن هذا الفسادِ.

الأسئلة

س١ : هل تركَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التحذير من الشرك عندما أقام دولة الإسلام؟ دلّل لما تقول.

س٢ : ما المقصود بذي الخلصة، مناة، العزى؟

س٣: لماذا ربط الإسلامُ فتنةَ القبور بفتنة الأصنام؟

س٤: ما دليلك على تحريم رفع المشاهد والقباب والقبور؟ ولماذا حُرِّمت؟

س٥: ما المشكلة الأساس التي حاربها الأنبياء؟

إصلاح الجانب العقدي أصل الأصول

إنّ بدءَ جميع الأنبياء بإصلاح الجانب العقدي ومحاربة الشرك ومظاهره هو مقتضى الحكمة والعقل وذلك للأمور الآتية:

أولاً: أن المفاسد المتعلقة بعقائد الناس من الشرك والخرافات وأنواع الضلال أخطر آلاف المرات من المفاسد المترتبة على فساد الحكم وغيره، فإن لم نقل هذا ونعتقده سَفَّهْنا مِن حيث لا نَشعر جميعَ الأنبياء، ونعوذ بالله من الضلال.

إن هذه المفاسدَ تشمل الحاكم والمحكوم، فالحكامُ أنفسُهم في كلِّ زمان ومكان ـ إلا المؤمنين منهم ـ يخضعون للأصنام والأوثان والقبور ويقومون بتشييدها وحمايتها وعبادتها وتقديم القرابين لها، ويعتقدون أن لها سلطةً غيبيةً قاهرةً فوق سلطانهم المادي، فهي تضرهم وتنفعهم بذلك السلطان الغيبي في زعمهم وبتلك القوة القاهرة الخفية أو على الأقل تشفع لهم عند الله في تحقيق مآربهم.

وأوضحُ مثال لخضوعِ الحكامِ للأوثان، ذلك الطاغية المتأله فرعون الذي قال متبجحاً: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فقد حكى الله مقالةَ قومه له وهم يستثيرون فيه

الحميَّة والغيرة لآلهته ومعبوداته فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧].

ألا ترى أكبرَ طاغية عرفته الأرض مع دعواه الربوبيَّة يخضع للأوثان ويتخذها آلهه.

وهذا النمرود ملك الكلدانيين الذي ادّعى الربوبيَّة يأمر بإحراق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما حطم الأصنام أخذاً بثأر هذه الأصنام؛ لأنها آلهته وهؤلاء ملوك الهند والفرس يعبدون الأوثان والنيران، وملوك الرومان في الماضي وحكام أوربا وأمريكا في الحاضر يعبدون الصور والصلبان، وكم من حكام المسلمين في الماضي والحاضر مَن فُتن بالأموات وشاد عليهم القبور وتعلق بها قلبه حباً ورجاءً وخوفاً وارتكبوا ما خشيه رسول الله على هذه الأمة وحذر منه.

ومن هنا يتضح لك جدية منهجِ الأنبياء وأحقيته، ويتضح لك أهمية مواقف الرسول الحاسمة من الأوثان والقبور كما يتضح لك حكمة إبراهيم وبعد نظره حينما أطلقها صيحة مدوية تجلجل في الآفاق والأجيال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]

فترى إبراهيم ـ وهو على غاية من الحق والصواب ـ يجأر إلى الله من مخاطر الأصنام، ولا يجأر إليه من مخاطر الحكام على جسامة فسادهم وخطرهم.

وبعد هذا العرض الواضح لدعوات الأنبياء خصوصاً من نصّ عليهم في هذا العرض وبالأخصّ إبراهيم ومحمد عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

فلنا أن نتساءل لماذا نرى دعوات الأنبياء تركّز على الأصنام وما جرى مجراها، فيما نرى الدعوات الآن تركّز على الحكام وتتلهى بقضايا الحكم الفرعيَّة عن قضايا العقيدة الجذريَّة الأساسيَّة.

فأيّ الفريقين أقوم منهجاً وأهدى سبيلاً؟

والجواب: إنَّ هذا سؤال صعب جداً نستغفر الله منه ألجأنا إليه هؤلاء الدعاة الذين نشأوا في هذه العصور المظلمة التي اشتدت فيها غربة الإسلام وتجارت فيها الأهواء بأصحابها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإلاّ ففي الحقيقة لا تجوز المقارنة بين الفريقين ولا بين المنهجين.

ألم تر أنَّ السيفَ ينقص قدره … إذا قيل إنَّ السيف أمضى من العصا

بل الأمر فوقَ ذلك بمراحل.

ثانياً: إن الله ما أرسل الرسل إلَّا ليعلموا الناسَ الخيرَ، وينذروهم بطشَ الله والشرَّ.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف:٥٦]

وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ الله، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ»[(١)].

وهذه مهمة الإنذار والتبشير والإبلاغ، مهمةٌ جليلةٌ عظيمةٌ نبيلةٌ، يكفيها عظمةً ونبلاً أنَّها مهمة الأنبياءِ، وتتناسب مع مكانتهم الرفيعة فإنها أشق وأعظمُ ما يتحمله البشر، وورثتهم من الدعاة الصادقين المخلصين السائرين في مناهجهم، ولهذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٦)، ومسلم برقم (١٧)(٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٣٩٨، وابن ماجه برقم (٤٠٢٣).

الأسئلة

س١: إن بدء جميع الأنبياء بإصلاح الجانب العقدي ومحاربة الشرك ومظاهره هو مقتضى الحكمة والعقل. وَضِّح ذلك.

س٢: ما سبب تركيز دعوة الأنبياء على خطورة الأصنام والتحذير منها؟

ليست الغاية إسقاط الدول

إن الله سبحانه وتعالى، لم يكلف الأنبياء ابتداء كما في سيرهم وقصصهم بإقامة دول وإسقاط أخرى، وذلك في غاية الحكمة، لأن الدعوة إلى إقامة دولة تلوح فيها المطامع لطلاب الدنيا وطلاب الجاه والمناصب وأصحاب الأغراض والأحقاد وأصحاب التطلعات، فما أسرع ما تستجيب هذه الأصناف للدعوة إلى قيام دولة يرون فيها تحقيق مآربهم وشهواتهم ومطامعهم.

لمثل هذه الاعتبارات والله أعلم وغيرها مما يعلمه الله الخلاّق العليم الحكيم ابتعدت دعوات الأنبياء ومناهجهم عن استخدام هذا الشعار البراق الملوح أو المصرح بالأطماع والشهوات العاجلة وسلكتْ منهجاً حكيماً نزيهاً شريفاً ينطوي على الابتلاء والاختبار فيتبعهم ويؤمن بهم كلُّ صادقٍ مخلصٍ متجرد من كل المطامع والأغراض الشخصية، لا يريد بإيمانه وتوحيده وطاعة رسل الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا الجنة ومرضاة ربه، ولا يخاف إلا من غضبه وأليم عقابه، ولهذا لا يتبعهم في الغالب إلا الفقراء والمساكين والضعفاء.

قال تعالى حكاية عن قوم نوح: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]

وقال عن قوم صالح: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا

بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦﴾ [الأعراف]

وجاء في أسئلة هرقل لأبي سفيان: (فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟).

قال أبو سفيان: فقلت: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. ثم قال هرقل: (وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ)(١).

فالدعوة إلى إقامة دولة أسهل بكثير وكثير، والاستجابة لها أسرع، لأن أكثر الناس طلابُ دنيا وأصحابُ شهوات.

ولما ذكرنا من الأسباب والعقبات والصعاب في طريق دعوات الرسل نجد أنه لا يتبعهم إلا القليل، فنوحٌ لبث ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ [العنكبوت: ١٤] يدعو إلى الله ومع ذلك ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠﴾ [هود]

وهذا إبراهيم الخليل قامع المشركين بالحجج الدامغة والبراهين، قال الله في شأنه وشأن من آمن له: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٦﴾ [العنكبوت]

وهذا لوط يقول الله في نجاةِ مَنْ معه من العذاب ولعلهن بناته فقط:

﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات]

(١) صحيح البخاري (٤/ ٤٦)

ولا يغض ذلك من منازل الأنبياء مثقال ذرة بل هم في أعلى المنازل وهم أنبل الناس وأجلُّ الناس وأكرمهم.

وقد قاموا بواجبهم على أكمل الوجوه من الدعوة إلى التوحيد والتبليغ والتبشير والإنذار، فإذا قلَّ أتباعُهم أو لم يتبع بعضَهم أحدٌ، فالعيبُ كُل العيب على الأمم التي رفضت الاستجابة لدعوتهم لأنها في نظرهم لا تحقق لهم أغراضهم الدنيئة.

وقد يهدي الله قوم نبيٍّ من الأنبياء، فيستجيبونَ له أو كثير منهم فتكون لهم دولة، ثمرة طيبة، لإيمانهم وتصديقهم وأعمالهم الصالحة، فيقومون بواجبهم من الجهاد، لإعلاء كلمة الله وتطبيق التشريعات والحدود وغيرها من الأمور التي شرعها الله لهم كما حصل لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام؛ توَّجَ الله إيمانَهم وعملهم الصالح وصبرهم الجميل على بغي المشركين وتطاولهم بأن نصرهم، وأظهر دينهم، ومكَّن لهم في الأرض، كما قال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]

ومع ذلك فما كانوا طلاب مُلْكٍ بل كانوا دعاة هداية وتوحيد ولا كانوا يُعدِّون أتباعهم للثورات والانقلابات السياسيَّة.

ولقد عُرض على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملكُ بمكةَ فرفضَ إلا المضيّ في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والأوثان، أرسلت قريشٌ لما أقلقها أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عتبةَ بن ربيعةَ فأتى رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ((يا ابن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ علمتَ مِنْ السِّطَة فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قومَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فرَّقت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وسفهتَ بِهِ أحلامَهم وعِبتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وكفَّرت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أعرضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ يَا أبا الوليد، أسمع"، قال: يابنَ أَخِي، إنْ كنتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا: وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نفسِك، طَلَبْنَا لَكَ الطبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نبرئَك مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التابعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: "أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟" قَالَ: نَعَمْ قَالَ: "فَاسْمَعْ مِنِّي"؛ قَالَ: أَفْعَلُ. فَقَالَ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ [فصلت].

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خلفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثم انْتَهَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك رأي عتبة: فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِالله لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بغيرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وراءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سمعتُ قَوْلًا وَالله مَا سَمِعْتُ مثلَه قطُّ، وَالله مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وخلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزِلوه، فَوَالله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سمعتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تصبْه الْعَرَبُ فَقَدْ كُفيتموه بغيرِكم، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فملْكه ملكُكم، وعزُّه عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ؛ قَالُوا: سَحَرَكَ وَالله يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ؛ قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فاصنعوا ما بدا لكم.(١).

وخلاصة هذا: أنَّ الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما جاءوا لإسقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكاً ولا ينظّمون لذلك أحزاباً، وإنّما جاءوا لهداية النَّاس وإنقاذهم من الضلال والشرك وإخراجهم من الظلمات إلى النور

---

(١) أورده ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة...، وساق القصة، السيرة لابن هشام (١/ ٢٩٣٢٩٤)،ولها شاهد من حديث جابر، أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى تقدم تخريجه (ص:٩٦)، وبه تتقوى القصة وتعتضد.

وتذكيرهم بأيَّام الله، ولو عرض عليهم الملك لرفضوه، ومضوا في سبيل دعوتهم.

وعرضتْ قريشٌ الملكَ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرفضه، وقد عرض عليه أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً.

الأسئلة

س١ : إسقاطُ الدولِ ليست الغاية التي بعث من أجلها الرسل، ناقش ذلك.

س٢ : من هم أتباع الرسل غالبا، واذكر دليلا.

س٣: عندما عُرضت على الأنبياء الدنيا هل رضوا بها أم رفضوها؟ دلل على ما تقول.

تربية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على طاعة الله

كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يبايع الأنصارَ وغيرهم إلاّ على الجنَّة، وكانت بيعة الأنصار في أحلك الظروف وأشدها فما كان فيها وعد بالمناصب لا الملك ولا الإمارات ولا بالمال ولا بغير ذلك من حظوظ العاجلة.

وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

انطلق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه العباس عمّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: " لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ، وَلَا يُطِيلُ الْخُطْبَةَ، فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا، وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ "(١)

فقال قائلهم وهو أبو أمامة: سل يا محمد لربّك ما شئت، ثمّ سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثمّ أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عَزَّوَجَلَّ وعليكم إذا فعلنا ذلك.

فقال: «أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ» قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَكُمُ الْجَنَّةُ» قَالُوا: فَلَكَ ذَلِكَ(٢)

---

(١) مسند أحمد برقم ١٧٠٧٨

(٢) رواه أحمد برقم ١٧٠٧٨

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكَّة عشر سنين يتتبع النَّاس في منازلهم بعكاظ ومجنّة، وفي المواسم في منى يقول: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ " حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ كَذَا قَالَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، علامَ نُبَايِعُكَ، قَالَ: " تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي الله، لَا تَخَافُونَ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ "، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ

تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى الله، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ عِنْدَ الله، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَالله لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ»[(١)].

ومن هنا أيضاً كان يربي أصحابه على القرآن والسنَّة وعلى الإيمان والصدق والإخلاص لله في كلِّ عمل بعيداً عن الأساليب السياسيَّة والإغراء بالمناصب العالية.

فما كان يُمنّي أحداً منهم قبل دخوله في الإسلام أو بعده بمنصب في الدولة، فهذا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أحد عظماء الصحابة وأقواهم شخصيَّة ما كان يَعِده رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالمناصب، ولا تتطلع نفسه إليها حتى جاء يوم خيبر، أي: بعد عشرين سنة من البعثة فاجأهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقوله:

«لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم ١٤٤٥٦

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩) أخرجه مسلم برقم (٣٣).

الأسئلة

س١ : ما الأمر الذي كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبايع أصحابه عليه؟

س٢ : على ماذا كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يربي أصحابه؟

س٣: هل وعد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابه بمناصب دنيوية؟ وما دليلك؟

مفردات الوحدة الثانية

- التحذير من طلب الإمارة.
- هل يجوز للدعاة إلى الله العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟
- ثلاثُ أمثلةٍ لفهم سنن الله في التشريع.
- الأوَّل: الصلاة.
- الثاني: الحج.
- الثالث: وهو بيت القصيد.
- استفادة الأمة الإسلامية من منهج الأنبياء.
- اتجاهات الدعاة في الدعوة إلى الله.
- فساد دعاة السوء.
- لماذا تسير الدعوة الإسلاميّة في اتجاه تصحيح أصل الأصول؟

التحذير من طلب الإمارة

لأيّ شيء تَطَلَّع الصحابة الكرام؟! أللإمارة نفسها أم لنيل هذه المنزلة العظيمة حب الله ورسوله؟ ولماذا كان عمر بن الخطاب لا يُحب الإمارة؟ لو كان رسول الله يحببها إليهم ويربيهم عليها ويمنيهم بها؛ بل كان ينفرهم منها ويحذرهم من الحرص عليها.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»(١) وينهى عن طلبها والحرص عليها.

عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا...(٢)

بل فوق كل هذه الأساليب يُرسي قاعدة إسلاميَّة تحرم المناصب على من يتعشقها ويحرص عليها، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) صحيح البخاري برقم ٧١٤٨

(٢) صحيح البخاري برقم ٧١٤٦،صحيح مسلم برقم ١٩ (١٦٥٢)

دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يَا رَسُولَ الله، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّا وَالله لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ»(١)

وفي لفظ عند مسلم: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى؟» أَوْ «يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ؟»

قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ، وَقَدْ قَلَصَتْ، فَقَالَ: «لَنْ، أَوْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى»، أَوْ «يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ»، فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ.

وفي النسائي: «إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ فِي عَمَلِنَا بِمَنْ سَأَلَنَا»(٢)

قال الحافظ: قال المهلب: « الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال النَّاس عليها حتى سفكت الدماء، واستبيحت الأموال والفروج وعَظُم الفساد في الأرض بذلك، ووجهُ الندم أنَّه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها لأنَّه يطالب بالتبعات التي ارتكبها، وقد فاته ما حرص عليه بمفارقته».

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٤ (١٧٣٣)

(٢) سنن النسائي برقم ٥٣٨٢

قال: «ويُستثنى من ذلك مَن تَعيَّن عليه كأنْ يموتَ الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال»[(١)].

وعلى كلّ حال فالإمارةُ والقضاءُ من الأمورِ التي لابدّ منها ولا تقوم حياة المسلمين إلاّ بها، وبها تعصمُ الدماءُ والأموالُ والأعراض.

ولكن يجب أَنْ نسلكَ في اختيار الأمراء والقضاة منهاجَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تُعطى هذه المناصب لمن يسألها أو يحرص عليها، وإنَّما يُختار لها الأكفاء علماً وزهداً فيها وتقوى.

ثمَّ ينبغي أن نستفيد من هذا المنهج النبوي في التربية، فلا ينبغي أن ننشئ الشباب على حُبِّ القيادة والرئاسة والسيادة والإمارة، فلو نشأناهم على حب هذه الأشياء خالفنا هَدْيَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوقعنا الشباب في المهالك وأي فلاح ننتظره في الدنيا والآخرة إن خالفنا منهجَ رسول الله؟!

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٢٦).

الأسئلة

س١ : النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن طلب الإمارة فما الدليل على ذلك؟

س٢: ما منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اختيار الأمراء والقضاة؟

هل يجوز للدعاة إلى الله العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟

أيها الطالب: عرفنا فيما مضى من منهج الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه، أنَّه منهج قائم على العقل والحكمة والفطرة، وعرفنا أدلَّة ذلك جملة وتفصيلاً من نصوص الكتاب والسنَّة ومن الناحية العقليَّة.

والآن نسأل: هل يجوز للدعاة إلى الله في أيّ عصرٍ من العصور العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟

الجواب: في ضوء ما سبق وما سيأتي، لا يجوز شرعاً ولا عقلاً العدول عن هذا المنهج واختيار سواه.

أولاً: أنَّ هذا هو الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أوّلهم إلى آخرهم.

والله واضع هذا المنهج هو خالق الإنسان، والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وهو الحكيم العليم في خلقه وشرعه، وقد شرع لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانياً: أنَّ الأنبياء قد التزموه وطبّقوه، مما يدل دلالة واضحة أنَّه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد:

١ - نبيّاً افتتح دعوته بالتصوّف.

٢ - وآخر بالفلسفة والكلام.

٣ - وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجاً واحداً واهتمامهم واحد يبدأ بتوحيد الله أولاً في الدرجة الأولى.

ثالثاً: أنَّ الله قد أوجب على رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، ويسلك منهجهم، فقال بعد أن ذكر ثمانية عشر منهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وقد اقتدى بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به.

رابعاً: ولما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، زاد الله الأمر تأكيداً، فأمر نبيّنا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ باتباع منهجه، فقال ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل]

والأمر باتباعه يشمل الأخذ بملّته التي هي التوحيد ومحاربة الشرك ويشمل سلوك منهجه في البدء بالدعوة إلى التوحيد، وزاد الله تعالى الأمر تأكيداً أيضاً فأمر أمَّة محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ باتباعِ ملة هذا النبيِّ الحنيف، فقال تعالى:

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران]

إذن: فالأمّة الإسلاميَّة مأمورةٌ باتباع ملَّته، فكما لا يجوز مخالفة ملّته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامساً: إذا رجعنا إلى القرآن أخبرنا أنَّ كُلَّ الرسل كانت عقيدتهم عقيدةَ التوحيد، وأنَّ دعوتَهم كانت تبدأ بالتوحيد، وأنَّ التوحيدَ أهمُّ وأعظمُ ما جاءوا به.

ووجدنا أنَّ الله قد أمر نبينا باتباعهم وسلوك منهاجهم، وإذا رجعنا إلى الرسول، نجد أنَّ دعوته من بدايتها إلى نهايتها، كانت اهتماماً بالتوحيد ومحاربةً للشرك ومظاهره وأسبابه، وقد مرَّ بنا عرضُ شيءٍ من هذا.

سادساً: أنَّ الله قد خلق الكون ونظَّمه تنظيماً كونياً وشرعياً، فجعل للكون سنناً يسير في نطاقها لو اختلّتْ هذه السننُ الكونيَّةُ لفسد هذا الكون، فوضعَ للسمواتِ والأرضَ والأفلاكَ والكواكبَ والشمسَ والقمرَ سنناً لو اختلّتْ هذه السنن لانتهى وجودُ هذا الكون.

ومن سننِ اللهِ الكونيَّة أنَّ الحيوانَ من إنسانٍ وغيره، لا يعيش إلاّ بروح وجسد، فلو فارقت الروح الجسد مات الجسد وفسد وأنتن ووجب أَنْ يُوارى هذا الجسدُ حتى لا يُؤذيَ الحيواناتِ بريحه ونتنه.

ومن سنن الله في عالم النباتِ أنَّ الشجرةَ لا تقوم وتحيا إلاّ على ساق فإذا استؤصل ساقها ماتتِ الفروع.

وفي عالم الشرائع لا تقوم الشريعة إلا على عقيدة، فلو خلت تلك الشريعة من العقيدة، فسدتْ وما بقيتْ شريعةٌ صحيحة.

فمثلاً شريعة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بقيت في الأمَّة العربيَّة دهوراً فلما أدخلَ عمرو بنُ لحيٍّ الخزاعيُّ فيها الشركَ أصبحت شريعةً وثنيَّة، فسدت وتغيرت حقيقتها؛ لأنَّها فقدت عقيدةَ التوحيدِ التي قامت عليها، والتي كانت أصلها الأصيل.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ[1] فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السُّيُوبَ»[2] فبعد إفساد عمرو بن لُحَيٍّ لعقيدةِ الشريعة التي جاء بها إبراهيم وتبعه إسماعيل صارت ديانة وثنيَّة والعرب عُبّاد أوثانٍ ولو بقوا مُصرِّينَ على الانتماء إلى إبراهيمَ ودينه وشريعته، ولو بقوا يتمسكون ببقايا مما جاء به كتعظيم البيت والطواف به، والقيامِ بالحج والعمرة، والوقوف بعرفةَ والمزدلفة وهدي البدن وغيرها من أنواع التقرب إلى الله تعالى.

---

(١) قُصبه: أمعاءه.

(٢) صحيح مسلم برقم ٥١ (٢٨٥٦)

وكذلك كانتْ رسالةُ موسى وعيسى رسالة توحيد وشريعة سماويَّةٍ، فلما فقدتا عقيدة التوحيدِ بقول اليهود: (عزير ابن الله) وبقول النصارى: (المسيح ابن الله) صارتا ديانتين كافرتين، لا يجوز نسبتهما إلى الله، ولا إلى هذين النبيين الكريمين.

قال تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة]

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ

ابْنَ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا... »[(١)]

والشاهد من الآيتين والحديث: أنَّ اليهود والنصارى أفسدوا رسالتي موسى وعيسى رسالتي التوحيد والإيمان، بعبادتهم لعزير وعيسى وقولهم فيهما ما قالوا، فصاروا بذلك مشركين كافرين، وتحولت تانكم الرسالتان بتصرفهم الخبيث وتحريفهم الدنيء إلى ديانتين وثنيتين كافرتين، لا يجوز نسبتهما إلى الله ولا إلى ذينك الرسولين الكريمين، ولو بقي ما بقي من شرائع موسى وعيسى من دون تحريف.

ولقد اتضح للقارئ أنَّ عقيدة التوحيد بالنسبة لجميع شرائع الأنبياء بما فيهم خاتم الأنبياء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كالأساس للبناء؛ فلا قيامَ للبناء إلاّ بالأساس، وكالأصل للشجرة فلا قيام ولا حياة للشجرة إلاّ بأصلها،

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٩٩ (١٨٢)

وكالروح للجسد، فلا قيام ولا حياة للجسد إلاّ بالروح، وبهذه المقاييس العقليَّة والشرعيَّة يجب أن يقيس العاقل الدعوات؛ ليعرف منها ما هو على جادة الأنبياء وما هو بعيد عنها.

الأسئلة

س١ : لا يجوز العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، اكتب في ذلك بإيجاز مع الأدلة.

س٢: اليهود والنصارى أفسدوا رسالتي موسى وعيسى رسالتي التوحيد والإيمان تحدث عن ذلك.

ثلاث أمثلة لفهم سنن الله في التشريع

وَأُحبُّ أَنْ أزيدَ ثلاثةَ أمثلةٍ نزداد بها فهماً لسنن الله التشريعيَّة، وأنَّ التنظيم والترتيب فيها أمر مقصود ويجب اتباعه ولا يجوز العدول عنه.

الأوَّل: الصلاة:

علّمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة تعليماً عمليّاً، وقال: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي "[١].

فبدأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقيام، ثمّ بالتكبير، ثمّ بالقراءة، ثمّ الركوع، ثمّ السجود، هذا نفعله في ركعة، ثم الثانية كذلك، ثم التشهد الأوّل، ثم التشهد الأخير، ثم السلام.

فلو قالت جماعة: الآن الأفضل في هذا العصر أو الواجب أن نبدأ بالسلام ونختم بالتكبير، أو نقدّم السجودَ على الركوع، أو نجعل التشهد بدل الفاتحة، والفاتحة مكان التشهد، فلو تمّ لها هذا أو شيء منه فهل تكون هذه صلاة صحيحة وهل تكون إسلاميَّة؟!!

(١) أخرجه البخاري،برقم (٦٣١)، مسلم برقم (٢٩٢).

الثاني: الحج:

حج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلّم النَّاس مناسكَ الحجِّ وقال: "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ"(١) وجعل الوقوف بعرفةَ في مكانٍ وزمنٍ معيّنٍ، هو اليوم التاسع، وجعل المبيت في مزدلفة في ليلةٍ معيّنة، وجعل يوم النحرِ وأيامَ التشريقِ ولياليه في مكان وزمن معيّن، وجعل طواف الإفاضة في زمن معيّن، وجعل للسعي مكاناً معيّناً بين الصفا والمروة حدّد بدايته ونهايته.

فلو أنَّ جماعة أرادوا أن يغيّروا شيئاً من هذه المناسك عن زمانه أو مكانه، مثلاً قالوا: نريد أن يكون طواف الإفاضة في اليوم السابع وأن يكون بين الصفا والمروة، ونريد أن ننقل الوقوف بعرفة إلى اليوم الثامن أو العاشر إلى مزدلفة أو منى ونريد النحر بعرفات، أو نريد أن نقدّم أو نؤخر في هذه المناسك حسب المصلحة وحسب ظروف الحجّاج؛ أيكون هذا حجاً إسلامياً أو يكون مسخاً وتشويهاً لهذا النسك؟!!

الثالث: وهو بيت القصيد:

بدأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته بالتوحيد، وكذلك جميع الرسل وكان يوصي أمراءه ودعاته بالبدء بدعوة التوحيد، فمن ذلكم من أمثلة كثيرة قوله لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ

(١) صحيح مسلم برقم ٣١٠ (١٢٩٧)

عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»(١).

ألا تراها دعوة منظمة وتشريعاً منظماً.

يبدأ بأصل الأصول ثمّ يتدرج من الأهم إلى المهم فلماذا لا نفهم هذا التنظيم الدقيق؟ ولماذا لا نلتزمه؟ ولماذا نفهم أنَّه يجب علينا أن نلتزم سنَّة الله التشريعيّة وتنظيمه الدقيق في العبادات وجزئياتها، ولا نفهم سنَّة الله وتنظيمه وترتيبه الدقيق في ميدان الدعوة الذي تتابع فيه الأنبياء جميعاً على وتيرة واحدة.

ونستجيز مخالفة هذا المنهج العظيم الأصيل والعدول عنه؟!!

إنَّ هذا لأمرٌ خطيرٌ، يجب أن يراجع فيه الدعاةُ عقولَهم، ويغيروا مواقفهم.

---

(١)صحيح البخاري برقم ١٣٩٥.

الأسئلة

س١ : على ضوء دراستك لما سبق؛ هل هناك فرق في سنة الله وترتيبه في ميدان الدعوة والصلاة والحج؟ اكتب ما تعرفه مختصرا.

س٢ : بدأ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته بالتوحيد وكان يوصي أصحابه بذلك، اذكر مثالا على ذلك.

س٣: لماذا كانت دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منظمة وتشريعاته منظمة؟

استفادة الأمة الإسلامية من منهج الأنبياء

هل استفادت الأمَّة الإسلاميَّة وخصوصاً دعاتها من هذا المنهج العظيم: منهج الأنبياء في الاهتمام بالتوحيد، وجعله منطلقاً لدعواتهم؟!!

والجواب: أنَّ واقع الأمَّة الإسلاميَّة مؤلم ومرير، وإنّ امرءاً لو مات كمداً أو أمَّة من هذا الواقع المؤلم المظلم لَحَقَّ له ولها ذلك.

كيف ذلك؟!!

إنَّ كثيراً من الأمَّة الإسلاميَّة بما فيها دعاتها ومفكروها قد جهلوا هذا المنهج وبعضهم يتجاهله، وحالتْ الشياطينُ بينهم وبينه واجتالتهم عنه، واتخذوا من المناهج المخالفة لمنهج الأنبياء ما أرداهم ودهاهم في دينهم ودنياهم، وصدق فيهم قول الرسول الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»[(١)]

(١) صحيح مسلم برقم ٦ (٢٦٦٩).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ "(١).

وفي لفظ: من هي يا رسول الله؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (٢).

وأصبحوا غثاءً كغثاء السيل كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (٣).

أجل، أصبحوا غثاءً كغثاء السيل وتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، وغزوهم في عقر دارهم، واستذلوهم، واستعبدوهم، وامتلكوا نواصيهم وأوطانهم واستنزفوا ثرواتهم، وأفسدوا أخلاقهم، كل ذلك نتيجةً لبعدهم عن منهج الله، منهج النبوّة.

---

(١) سنن ابن ماجه برقم ٣٩٩٢

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) سنن أبي داود برقم ٤٢٩٧، صححه الألباني انظر الصحيحة (٢/ ٦٨٤) رقم (٩٥٨)

الأسئلة

س١: هل استفادت الأمةُ الإسلاميةُ من منهج الأنبياء أم قصرت في ذلك؟

س٢: اذكر حديث (لتتبعن سنن من كان قبلكم).

س٣: ما سبب انحراف كثير من المسلمين عن منهاج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

س٤: ما معنى (الوهن) ومن يُصيب؟

اتجاهات الدعاة في الدعوة إلى الله

في غمرة هذا الواقع المؤلم، وبعد فوات الأوان، فتح كثير من الناس أعينهم واستيقظوا من نومهم، فأخذوا يصيحون في المسلمين عودوا إلى الله فهذه مسالك النّجاة.

وأخذ الناس يكتبون ويخطبون، ويوجهون النَّاس ويخططون، وكُلٌّ قَدَّمَ جهده وما تراءى له والطريقةَ التي يسلكها!، لكنهم ساروا في اتجاهات مختلفة!.

و كانت أبرز هذه الاتجاهات ثلاثة:

الأوّل: يمثله جماعة أخذت بمنهج الرسل في عقيدتها ودعوتها، وتمسّكتْ بكتاب ربّها وسنَّة نبيّها، وترسّمتْ خُطى السلفِ الصالحِ في عقيدتها وعبادتها ودعوتها.

وهذا هو الاتجاه الذي يجب أن يلتفَّ حوله المسلمون تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] ولتتظافر جهودهم، فيرضى عنهم ربُّهم وتقوى شوكتُهم ويَصِلونَ بذلك إلى ما يُريدون من عزّةٍ وسيادةٍ وسعادةٍ ويُؤخذ على أصحاب هذا الاتجاه أنَّهم لم يبذلوا من

الجهود الماديّة والمعنوية لنشر دعوة الحق، ومن العرض القويِّ لحقهم في شكل دعوة ومؤلفات ما يتناسب مع مكانة دعوتهم وجلالها.

والثاني: يمثله جماعةٌ اهتمتْ ببعض الأعمال من الإسلام، وتغلّبت عليها نزعاتُ الصوفيَّة، هزّت عقيدة التوحيد في كثير من نفوس أتباعها، وعليهم مؤاخذات في عقيدتهم وعباداتهم.

وقد قام بعضُ العلماء المعاصرين كالشيخ تقي الدين الهلالي المالكيِّ المغربي، والشيخ محمد أسلم وغيرهما بنقد موجّهٍ لهذه الجماعة، من واجبها أن تستفيد منه، وتعود إلى جادَّة الحقِّ والصواب.

والثالث: يمثله جماعة اهتمتْ بجوانبَ من الإسلام سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وكتبوا في المجال السياسيِّ الشيءَ الكثيرَ باسم السياسة الإسلاميَّة، والدعوةِ إلى حاكميَّة الله، وإقامة الدولة الإسلاميَّة، فكريا (مغلوطًا) لا عمليا.

وفي الوقت نفسه الذي اهتموا فيه بهذه الجوانب؛ قصّروا في حقِّ العقيدة والاتباع تقصيراً واضحاً، فجمعوا بين التصوف والاعتزال وعبادة القبور والرفض الشيء الكثير..

هل الدعوة إلى الحاكميَّة تستلزم الإهمالَ أو التقصيرَ في أصل أصول الإسلام؟

إنَّ الدعوةَ إلى الحاكميَّة وتطبيقَها أمرٌ مهمّ ويهم كلَّ مسلم يفهم الإسلام إذا روعيت شروطها وكُلُّ ما جاءَ به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهمّ وعظيمٌ.

لكنّنا نتساءل: هل الدعوة إلى الحاكميَّة تستلزم الإهمالَ أو التقصير في أصل أصول الإسلام؟

الجواب: لا.

إن حاكميَّة الله يجب أن تبدأ من أعظم شيء في الإسلام ألا وهو الاعتقاد في الله، وفي أسماء جلاله وصفات كماله كما تعرّف الله إلينا بها في كتابه العظيم، وكما علّمنا نبينا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتمتلئ قلوبنا بها نوراً وإيماناً ويقيناً وإعظاماً وإجلالاً.

أيجوزُ في حاكميَّة الله ودينه أَنْ تُعطل أسماءُ جلاله، وصفاتُ كماله، وهي أَسمى وأجلُّ وأعظمُ ما ضمّه كتابُ الله وسنَّةُ نبيه؟!!

لماذا لا نطلبُ من علماء المسلمينَ بإلحاحٍ أن يُحكموا كتابَ الله وسنَّة نبيّه في هذا الأمر الخطير؟!!

أيجوزُ في حاكميَّة الله وشرعه ونظامه أَن يُخَالف كثيرٌ وكثيرٌ من المسلمين منهجَ الأنبياء في توحيد العبادة وإخلاصِها لله، ويتخذوا مع الله أنداداً يدعونهم ويستغيثون بهم ويهتفونَ بهم في الشدائد ويمعنون في ذلك حَتّى يشركونهم في الربوبيَّة فيعتقدون فيهم أنَّهم يعلمون الغيب ويتصرّفون في الكون؟!!

أليس هذا عدواناً على أَعظم حقوق الله؟!!

أليس هذا هو أظلم الظلم؟!!

فأين الدعوة إلى الحاكميَّة إذن؟ وأين هي العدالة؟!!

أيجوز في حكم الله وشرعه أن نغضَّ الطرفَ عن الصوفيَّة وهي تعبث بعقائد المسلمين وعقولهم فتفسدها وتدمّرها بعقيدة الحلول ووحدة الوجود ووحدة الأديان... وبغير ذلك من ضلالات التصوّف؟!!

أيجوز في حاكميَّة الله ودينه أن تشادَ الألوفُ من القبور في معظم بلدان الإسلام ليطاف بها ويعتكف حولها وتشدّ إليها الرحال، وينذر لها بالكثير الكثير من الأموال، وتقام لها الاحتفالات ويفعل المسلمون حولها وبها ما يندى له جبين الإسلام، وما يُضحِكُ من المسلمين والإسلام أعداءه من الوثنيين واليهود والنصارى والشيوعيين؟!!

أيجوزُ في حاكميَّة الله أن تموت السنن وتقوم على أنقاضها البدع والخرافات والأساطير؟!!

إنّ هذه الضلالات والشركيّات والبدع قد طَمَسَتْ معالمَ التوحيد ومعالم الإسلام عموماً.

إنَّني أرجو من عقلاء هذا الاتجاه أن يحاولوا بعد مراقبة الله في أنفسهم وفي الأمَّة أَنْ يُقدروا منهج الأنبياء حقّ قدره، وأَنْ يُعطوا كلَّ جانب من الإسلام، ما يستحقه من الجهد، وأن يَضعوا نصب أعينهم قولَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[١] لقد كان يقال لنا: إنّ هذه الأمور البدع والشركيات انتهت

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٢)

ودفنت، فكشفت الأيام أنّها حيّة باقية على أشدّها ولها مدارس وحكومات تؤيدها وتحميها ولها أحبارها ورهبانها وسدنتها، فلماذا لا نُفْهِمُ المسلمين أنَّ الأعمالَ الجاهليَّة تضاد حاكميَّة الله؟.

ولماذا لا ندعوا أهلها إلى التحاكم إلى الله والخضوع في كل هذه المجالات لحاكميَّة الله؟.

فإن كان المهتمون بالحاكميَّة دون الدعوة إلى التوحيد والاتباع ونبذ مايضادهما يدركون ويوقنون أن هؤلاء الذين يعملون هذه الأعمال ويعتقدونها مخالفون لحاكميَّة الله، وغير خاضعين لها في هذه التصرفات فليشمروا عن ساعد الجدّ، وليخوضوا هذا الميدان بكل قوّة وجدّ، وليضعوا فيها المناهج وليؤسسوا لها المدارس، وليؤلفوا الكتب، وليهزوا أعواد المنابر بالخطب البليغة والتوجيهات السديدة.

أتظنون أنَّ هذه الأمور هيّنة وسهلة ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٥]، كلا ليس الأمر كما تتوهمون أو كما يقال لكم.

الأسئلة

س١ : عدد بإيجاز اتجاهاتِ الدعاة إلى الله في هذا العصر.

س٢ : أي الاتجاهات هي الموافقة لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟

س٣: هل الدعوة إلى الحاكمية تستلزم الإهمال أو التقصير في أصول الإسلام؟

س٤ : ما الحاكمية؟

فساد دعاة السوء

إنَّ إفساد علماء السوء والأحبار والرهبان وقادة البدع أشد وأخطر من إفساد الحكام وغيرهم؛ لأن النَّاس يُخدعون بهم، فيحبونهم ويثقون بأقوالهم ومناهجهم فيتبعونهم ويضلون عن منهج الله بسببهم.

تعالوا معي إلى القرآن الذي يهدي إلى التي هي أقوم والذي يعالج الأمراض والأخطار عن علم، لأنه تنزيل من عليم حكيم خبير.

لقد عاصر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود، وليس لهم دولة، وقد ضُربتْ عليهم الذلة والمسكنةُ.

فكم آية نزلت فيهم، وفي كم موطن من القرآن ذُمّوا، وكُشف عن عوارهم وبينت مخازيهم وخبث طواياهم.

وعاصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصارى ولهم دولٌ وملوك، دولة القياصرة في أوربا والشام ومصر، ودولة الأحباش في الحبشة وأفريقيا، فهل واجه القرآن حكامهم وملوكهم؟ أو واجه النصارى أنفسهم وانحرافاتهم وعلى رأسهم رهبانهم وقسسهم؟!!

تعالوا إلى القرآن ليخبرنا من هو الأحق بالمواجهة ومن واجه فعلاً.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]

وقال في اليهود والنّصارى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [المائدة: ١٨]

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

وتوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يلعن اليهود والنصارى على انحرافهم العقائدي فكان يقول: «لَعْنَةُ الله عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[١]

والآيات والأحاديث في ذمّهم وفي انحرافهم العقدي والخلقي كثيرة، وكذلك الأحاديث الشريفة، ولم يذكر آيةً في ذمّ ملوك النصارى وحكامهم المعاصرين للعهد النبويِّ الكريم على شرهم وخبثهم.

(١) أخرجه البخاري برقم(١٣٣٠) ومسلم برقم(١٩).

الأسئلة

س١: هل فساد علماء السوء أقل من فساد الحكام؟ اكتب ما تعرفه مختصرا في هذا الشأن.

س٢: اذكر بعض الآيات والأحاديث في انحراف اليهود والنصارى.

س٣: من الأحق بالمواجهة والعداوة والبغضاء؟

لماذا تسير الدعوة الإسلاميّة في اتجاه تصحيح أصل الأصول؟

لأنَّ هذا هو منهج الدعوة الصحيح، ولأن الزعامات الدينيّة المنحرفة أخطر بكثير من الزعامات السياسيَّة المنحرفة، لأنَّ الزعامات الدينيَّة تكسب ثقة النَّاس ومحبّتهم وولاءهم، وينقاد النَّاس لها اختياراً وحباً فإذا كانت هذه الزعامات الدينيَّة ضالّة منحرفة انحرفت بالنَّاس عن منهج الله، وقادتهم إلى غضب الله والنار، وحتى الحكام أنفسهم قد يخضعون لهذه القيادات والزعامات الدينيَّة، فهذا يهوديٌّ خاضع لزعامة دينيَّة، وهذا نصرانيٌّ كذلك، وفيمن ينتمي إلى الإسلام ذاك شيعيٌّ وذاك معتزلي وذاك أشعري وذاك خارجي وذاك صوفي وذاك... وذاك....

فالزعامات والقيادات الدينيَّة المنحرفة هي التي أفسدت عقائد هذه الأمَّة وأخلاقها وعباداتها وثقافاتها، ومزّقتها شرّ ممزّق، فلماذا نجاملها ونهوّن من شأنها ومن خطرها وهي مصدر كلّ بلاء؟!!

فهناك التشيع والرفض وفرقها، ومن اندسَّ تحتها من زنادقة وملاحدة.

وهناك أئمة التصوّف وطرقها الكثيرة، وأفكارها الضالّة من وحدة وجود ووحدة أديان وحلول وشركيّات وبدع، وضلالات لا تنتهي عند حدّ،

وهناك أئمة الخوارج والاعتزال والإرجاء والجبر، وكلّ هذه الزعامات قد لفّت الأمّة بطوفان من الفتن لا يعلم مداها إلا الله، وأكثر المسلمين إنّما هم دمى وأشباح تحركهم هذه الأفكار كغثاء تجرفه السيول.

فمن يريد إصلاح أحوال المسلمين مخلصاً جاداً صادقاً فليسلك طريق الأنبياء ومنهجهم وعلى رأسهم خاتم النبيين وقد وضحناه مراراً:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وأعتقد أنَّ من ينحرف بالشباب والدعاة عن هذا المنهج لم يَعرف على أحسن أحواله منهجَ الأنبياء ودعوتَهم سواء كانت دعوته سياسيَّة أو صوفيَّة أو غيرها، فلقد تَرَكَنَا رسول الله على بيضاء لا يزيغ عنها إلاّ هالك.

ومن يصوّر للنَّاس أنَّ منابع الفساد هم الحكام فقط فهو مخالف لما قرّره القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة والتأريخ الإنساني والإسلامي، ومستدرك على منهج الأنبياء خصوصاً إذا وجّه الدعاة إلى حصر جهودهم وصبّها في المجال السياسي.

فمنابع الفساد الأساسيَّة والأصليَّة والخطيرة هي التي قررها الله على أَلسِنة رسله جميعاً، ورسم لهم منهجاً لردمها وما عداها فهو تابع لها فليفهم الداعي إلى الله ذلك، وليعتصم بحبل الله، وليلزم غرز الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يقولون هناك مبشّرون وهناك شيوعيون وهناك صهيونيَّة وهناك استعمار فلنترك المسلمين على ما هم عليه، ولنوجّه قوّتنا ضد هذه الأخطار المحدقة بالمسلمين.. وأقول: حارِبوا هذه الأشياء بكل ما أوتيتم من قوّة وبارك الله في جهودكم، ونحن والله معكم ولكن على أساس ألاّ تشغلنا عن إصلاح عقائد المسلمين وأخلاقهم، فإننا إذا رسخنا عقائد الأنبياء ومناهجهم في عقول المسلمين ونفوسهم، فقد وضعنا أعظم سدّ في وجه هذه القوى الخبيثة من شيوعية ومبشرين وغيرهم، بل سيكون المسلمون هم المهاجمون لهذه القوى، وإن تركناهم مرضى مهزوزين في عقائدهم فمهما بذلنا من جهد في محاربة هذه القوى، فإنها سوف تستطيع التسلل والنفوذ إلى عقول الكثير الكثير من هؤلاء المرضى والمهزوزين لأننا لم نحصنهم بعقائد الأنبياء ومنهجهم.

ومن سلم منهم من غزو هذه القوى فإنه يموت على غير منهج الأنبياء ومن سيكون مسئولاً عنهم أمام الله إذن؟

هذه بعض النماذج من أفكار هذا الاتجاه والتي آمن بها كثير من النَّاس في الشرق والغرب، وأصبحت في نظرهم هي لبّ الإسلام، وهي غايتهم النهائيَّة التي من أجلها يكافحون وفي سبيلها يُضحّون .

الأسئلة

س١: لماذا يسير الداعية الحقيقي في اتجاه تصحيح الأصول دائما؟ وما الدليل؟

س٢: من الذي أفسد عقائدَ هذه الأمة؟

س٣: أيهما أَخطر؟ الزعامات الدينية المنحرفة، أم السياسية، وضح ذلك من خلال ما درست.

المصادر والمراجع

- تفسير ابن كثير.
- تفسير السعدي.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- مسند الإمام أحمد.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- سنن ابن ماجه.
- موطأ مالك رواية الليثي.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم.
- الشريعة للآجري.
- الأدب المفرد.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة.
- سير أعلام النبلاء.
- البداية والنهاية.
- الاعتصام للشاطبي.
- البدع والنهي عنها لابن وضاح.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.

المحتويات

الحكومة الليبية المؤقتة
LIBYAN INTERIM GOVERNMENT

وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
GENERAL CENTER FOR EDUCATION
CURRICULUM AND RESEARCH STUDIES

التاريخ : 2018 ,09, 10
الرقم الإشاري : 2018 .30.264

السيد المحترم: رئيس مجلس الإدارة بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

بداية لكم ولكل العاملين معكم أصدق التحايا سائلين العلي القدير لنا ولكم التوفيق و السداد لخدمة البلاد والعباد.

بالإشارة إلى كتابكم رقم 1439/10/20 هجري - الموافق: 2018/07/04 ميلادي بشأن اعتماد المناهج التي تدرس بالمعاهد الدينية التابعة للحكومة الليبية المؤقتة من قبل المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية وبناء على تأشيرة السيد وكيل وزارة التعليم بالإجراء، والى كتابنا رقم 2018.5.239 المؤرخ في 2018/08/28 ميلادي الموجه للسيد وكيل وزارة التعليم بشأن مخاطبتكم لمعالجة الملاحظات الواردة في خلاصة عمل اللجنة المكلفة بالمراجعة، وعلى كتاب السيد مدير الإدارة العامة للمعاهد الدينية رقم أ.م.د 2018/200/2377 المؤرخ في 1439/12/26 هجري الموافق :2018/09/06 ميلادي بشأن إنجاز التصليحات والتصويبات.

عليه لامانع من اعتماد المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمعاهد الدينية التابعة لهيئتكم الموقرة و التي تم مراجعتها من قبل اللجنة المختصة وفق كتاب السيد مدير إدارة المناهج رقم 2018.7.263 المؤرخ في 2018/09/10 ميلادي، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ ومعالجة الملاحظات الواردة بالتقرير الفني المرفق قبل أنجاز أي أعمال تتعلق بالتدريس أو بطباعة الكتب.

تفضلوا بالاستلام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

10/9/2018

محمد علي المهشهش

مدير عام مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

LIBYAN INTERIM GOVERNMENT
الحكومة الليبية المؤقتة
المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

صورة إلى :
- السيد معالي وزير التعليم
- السيد وكيل وزارة التعليم
- السيد / مدير إدارة المناهج
- السيد / مدير لإدارة الكتاب المدرسي والمطابع
- الملف الدوري العام

COU.MANG@MINISTRYOFEDUCATION.LY